

تفريغ الدرس الثاني عشر من شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي - رحمه الله تعالى -

(تتمة باب المراقبة، من الحديث 63 إلى الحديث 68).

قال الشيخ محمود الشيخ - حفظه الله تعالى -:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا إخوتي -بارك الله فيكم- المجلس الثاني عشر من مجالس شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي - رحمه الله تعالى -، ولا زلنا في **باب المراقبة**، واليوم -إن شاء الله تعالى- نقرأ بقية أحاديث هذا الباب، ذكرنا أن المراقبة سواء كانت المراقبة مراقبة العبد لربه، أو يعلم العبد أن الله يراقبه، وهذه مرتبة الإحسان = تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فتلزم طاعته دائماً، وإياك، ثم إياك، ثم إياك، وهذا سبحانه الله! يعني: الكلام لنا جميعاً إياك أن يراك الله - سبحانه وتعالى - في المكان الذي يبغضه، أو يراك تعمل عملاً يحرمه حتى لو سترك الله، الحذر من أن تجعل الله أهون الناظرين إليك، لا تجعل الله أهون الناظرين إليك فتتهن في عين الله - سبحانه وتعالى - وتسقط، لعلنا ذكرنا أثر أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - لما فتحوا مدائن قبرص، وصاروا يوزعون الغنائم والسيب، جلس وقد تنحى عن الناس، أخذ يبكي، جاءه جُبَيْر بن نُفَيْر - رحمه الله -، قال يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام؟ قال: ويحك يا جُبَيْر بينما كانت هي أمة -أي: مدن قبرص- بينما كانت هي أمة ظاهرة، حتى خالفت أمر الله، أو عصت أمر الله، فصارت إلى ما ترى من سبي وذلة وغير ذلك، قال: ما أهون الخلق على الله إن هم تركوا أمره، ما أهون الخلق على الله إن هم تركوا أمره.

الحديث الثالث والستون، قال:

الرابع: عن أنس - رضي الله عنه - قال: **"إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ"**. رواه البخاري¹.
وقال: **«المُوبِقَاتُ»: المَهْلِكَاتُ.**

سبحان الله! يعني: هذا الكلام في زمان أنس - رضي الله عنه -، وإن كان قد عمّر، وكان من أواخر الصحابة وفاة - رضي الله تعالى عنه -، فقد عمّر بعد النبي ﷺ حوالي تسعين سنة كما ذكر الشيخ العثيمين وغيره، يقول في ذلك الزمان حقيقة ذلك زمان

ممدوح، وقد قال النبي ﷺ: "خير قرن قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" فذلك الزمان زمان ممدوح، ماذا يقول أنس؟ (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمُوبِقَاتِ) ماذا لو أدرك زماننا ماذا سيقول؟! والله نرى ونسمع أناسا يعملون الموبقات بذاتها، بل والله الكفريات؛ الكفر الأكبر، ثم يقولون: {إن الله غفور رحيم} المهم هنا يشير إلى قلبه الإيمان، حتى صار يحمل عقيدة الجهمية نسأل الله العافية، وهو لا يدري، تهاون عجيب، تهاون عجيب في زماننا، يقول أنس رضي الله عنه (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ) صار بعضهم يتخلف عن صلاة الجماعة، عن صلاة الجماعة يتخلف وليس عن الصلاة، ما بالنا نحن الذين يتخلف الكثير من الناس عن الصلاة لا يصلي، لا يدخل المسجد إلا في جنازته، إلا محمولا على الأكتاف نسأل الله السلامة، والله سبحانه الله! رأينا في مسجدنا قبل فترة منظرًا يعني: لا ينسى حقيقة، والله لا أدري يعني، لا أستطيع أن أجزم بحالة تلك الجنازة، لكن مما نعلم عن أهلها وعن هذه المرأة، أو هذه الجنازة، سواء كانت امرأة أو رجلا، جنازة نعلم عن حال هؤلاء الناس العائلة ليسوا على خير حقيقة، اللهم اغفر لهم وأصلح حالهم، نسأل الله أن يهديهم، فمات لهم أحدهم، وضع في المسجد، رأيت هذه الجنازة بأم عيني، ولا أدري هل أنا قد شاركت معهم فيما رأيت، أم لم أشارك، لم يستطيعوا حملها على الأكتاف، هذه الجنازة والله أنني رأيت هذا، أو كنت معهم أحمل لا أدري، لا أدري نسييت، وليس العهد بعيدا سبحانه الله! ولكن يعني: يخيّل لي أنني كنت أحمل معهم، هي الجنازة حقيقة يعني: سميّنة قليلا، ولكن حتى الجنازة السميّنة إذا اجتمع عليها عدد من الرجال يحملونها بسهولة على الأكتاف، والله أن هذه الجنازة جُرت جرا إلى مكان الإمام ليصلي عليها، نسأل الله السلامة، نسأل الله السلامة، سبحانه الله! يتركون الصلوات، أمور عجيبة، يعملون الكفر، يعملون الموبقات ولا يابهون، بل يعتذرون إلى أنفسهم، يقول أنس: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ) يا جماعة لا تتهاونوا في حرّامات الله، لا تتهاونوا في المعاصي، المعصية الصغيرة تجر كبيرة، والكبيرة تجر كفرا، المعاصي بريد الكفر، كما البدعة بريد الشرك والكفر، لا تتهاون، أناس يأتون يناقشونك في مسألة اللحية مثلا، يقولون: سنة، وليست سنة، وليس الأمر كذلك، ولا ندري ماذا؟، يا أخي -بارك الله فيك- أتمنى أن تعترف بالخطأ أولا، ولا تتبجح كثيرا في النقاش، هذه لحية النبي ﷺ، على أقل تقدير لا تستهين بها، ولا تناقشني وتناظرني فيها، مع أن الناس متفقون -العلماء من السلف- على وجوبها، على وجوب إطلاق اللحية، أو على إطلاق اللحية، سواء قلنا أنها سنة أو واجبة، أنها واجبة وهو معروف، فبدل أن تقول: "اللهم اغفر لي على تقصيري" تتبجح وتناظر سبحانه الله! راقب الله في نفسك، واتق الله في كلامك، وأصلح ما بينك وبين الله.

قال -رحمه الله- في الحديث الرابع والستين:

الخامس: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» متفق عليه².
و«الغيرة»: بفتح الغين، وأصلها الأنفة.

يا الله ما أخطر هذا الحديث، تعلم أن الله يغار؟ سبحان الله! سبحان الله! لما قال النبي ﷺ لأصحابه: إذا رأى الرجل امرأة وقعت في الزنا فعليه أن يأتي بأربعة شهداء أخذت سعدا -ابن عبادة رضي الله تعالى عنه- حمية وغيره على النساء، وعلى محارمه، قال: -بمعنى الحديث والحديث في البخاري³- أنتظر حتى آتي بأربعة شهداء، "والله يا رسول الله لأضربن عنقه، أو أضربنه بالسيف غير مصفح" -غير مصفح يعني: ليس بطرف السيف بل بحد السيف- "حتى أقطع رأسه" يعني: أقتلوني بعدها يا رسول الله، إفعّلوا ما شئتم، ولكن لن أحتمل منظرا مثل هذا، حتى آتي بأربعة شهداء، يقول النبي ﷺ: "أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَعْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَعْيَرُ مِنِّي" الله يغار إذا انتهكت محارمه، كم وقعنا في انتهاك المحارم في هذا الزمان خاصة، نسأل الله السلامة، نسأل الله السلامة.

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ) فاتق الله ولا تقع فيما يجلب الغضب عليك من الله، إذا وقعت فيما يغار فيه في حرّمات الله، وما حرم الله من الزنا ومن غيره، قال الشيخ العثيمين **بالمناسبة:** "والغيرة صفة حقيقية ثابتة لله عز وجل، ولكنها ليست كغيرتنا، بل هي أعظم وأجل، والله -سبحانه وتعالى- بحكمته أوجب على العباد أشياء، وحرم عليهم أشياء، وأحل لهم أشياء، فما أوجبه عليهم فهو خير لهم في دينهم ودنياهم، وفي حاضرهم ومستقبلهم، وما حرمه عليهم فإنه شر لهم في دينهم ودنياهم، وحاضرهم ومستقبلهم، فإذا حرم الله على عباده أشياء فإنه عز وجل يغار أن يأتي الإنسان محارمه" شيء حرمه الله عليك تفعله؟! قال: "وكيف يأتي الإنسان محارم ربه والله -سبحانه وتعالى- إنما حرمها من أجل مصلحة العبد، أما الله -سبحانه وتعالى- فلا يضره أن يعصي الإنسان ربه" بل يضر الإنسان نفسه "لكن يغار، كيف يعلم الإنسان أن الله سبحانه حكيم ورحيم، ولا يحرم على عباده شيئا بخلا منه عليهم به" فهو يحرم من [أجل] مصلحتك، أنت من كرمه وفضله عليك أن يبين لك الشيء الذي يضرك.

قال في الحديث الخامس والستين:

قال: (السادس: عن أبي هريرة) هذا حديث عظيم حقيقة الذي بين أيدينا، وهو حديث: (متفق عليه).

² البخاري: 5223، ومسلم: 2761.

³ البخاري: 5220، 6846، 7416.

قال: (السادس: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ طَبِيعَا الْأَبْرَصِ مَعْرُوفٌ: الَّذِي أَصَابَهُ مَرَضٌ فِي جُلْدِهِ، فَأَعْطَاهُ لَوْنًا مُؤَدِّيًا لَهُ، وَمَتَعْبًا لَهُ.

قال: (فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ) هذا ما يريده، وكل واحد فينا إذا سأله ما يريده؟ يتمنى أن يزول همه، وأن يجلب له ما يفكر فيه، والناس -سبحان الله!- تختلف في أفكارها، وتختلف في أمنياتها؛ هذا يجب الطعام، هذا يحب الزواج، هذا يحب المال، هذا يحب الشهرة، هذا يحب الرئاسة، أشياء كثيرة، فهذا يتمنى أن يزول عنه المرض الذي فيه، (قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا) بلاء من الله -سبحانه وتعالى- وانتبه: ليس إذا أعطاك الله المال تفرح كثيرا، بل تذكر أن الأمر فيه بلاء تبتلى به، وتسأل عنه.

(فَقَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ -أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ شَكَّ الرَّاوي-) هذا من باب حرصهم، وأمانتهم، شك بين قول النبي ﷺ في الأول الإبل أم في الثاني، فذكر الأمرين على التشكيك، قال: الإبل أم البقر من باب شك الراوي.

قال: (فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشْرَاءَ) على وجه أن تلد، يقال: ناقة عشراء، وبقرة حامل. (فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا) ودعا له بالبركة، واستجاب الله لهذا، فبورك له في هذا الذي عنده.

قال: (فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا) وقد صار.

قال: (فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ النَّاسَ؛ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا) سبحان الله! الأول اختار: الإبل أو البقر، والثاني: اختار البقر، والثالث: اختار الغنم، "وما من نبي إلا ورعى الغنم" والسكينة والوقار في أهل الغنم، والكبر والخيلاء في الفدادين أصحاب الإبل، ويتطبعون بطبيعتها؛ لذلك ترى الأعراب الذين يربون الإبل عندهم جلفة في التعامل وشدة، وهذا من باب الفائدة يعني: من باب عندما تسمعون في بيت الشعر كان العلماء يرددون كثيرا، وأكثر ما كان يردده الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-:

أوردتها سعد وسعد مشتمل *** ما هكذا يا سعد تورد الإبل

عندما أراد رجل أن يذهب إلى سفر، وكان عنده من الإبل، فانتمن أخاه يقال له: سعد على هذه الإبل أن يوردها، أي: إلى الماء لتشرب، فسبحان الله! سعد أورد هذه الإبل، وجلس لعله تحت شجرة لتُرد لوحدها، وهذا لا ينفع مع الإبل، الإبل فيها شدة = غلظة، لا بد أن تلاحقها وتضربها، وتلاحق من هنا ومن هنا، حتى تأخذ منك بخلاف الغنم، الغنم يقودها واحد من الشياه، تمشي لوحدها لو كان معهم كلب يقودها كلها، الإبل لا، الإبل والله في هذا الأيام بالسيارات يلاحقونها حتى تنتظم، جاء الأخ من السفر وجد أخاه سعدا ماذا؟ لعله نائم تحت الشجرة فقال:

أوردها سعد وسعد مشتمل ***

مشتمل ماذا؟ مشتمل على بردته، يلف نفسه ببردته = بعباءته قال:

أوردها سعد وسعد مشتمل *** ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وصارت حكمة تردد في كل من يورد قولاً خطأ من غير تنقيح ولا تفكير، ويبتعد عن الصواب والجادة فسبحان الله! الأول طلب ماذا؟ الإبل أو البقر، الثاني: البقر أيضاً؛ البقر فيها نوع من الشدة، ولكن ليس مثل الإبل حقيقة، البقر ليست شديدة مثل الإبل، اللهم الثور عنده الشدة، لكن الإبل: لا، غليظة جلقة تحتاج حقيقة إلى تأديب، أما الغنم لا، هادئة وبالتالي يتطبع صاحب هذه من هذا وهذه من هذه، فالذي يرعى الإبل يأخذ الجلافة والشدة والغلظة، والذي يربي الأغنام يأخذ من طبعها الهادئ، ومن هنا: يقول النبي ﷺ: "ما من نبي إلا ورعى الغنم" هذا الأعمى أحب الأشياء إليه الغنم، لعل هذه فطرة طيبة عنده، الله أعلم.

قال: (فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطِي شَاةً وَالِدًا، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا) لاحظ يقال: هذه الناقة عشراء، وهذه البقرة حامل، وهذه الغنمة والد؛ أي: على باب ولادة.

قال: (فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ) يا ترى من منهم سيتقي الله - سبحانه وتعالى - في هذا المال ولا ينس فضل الله عليه؟ لأنه يراقب نفسه، ويراقب الله في نفسه، ويعلم أن هذا كله من خير الله عليه.

قال: (ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ) أي: ذلك الملك (في صورته وهيئته) في الصورة القديمة صورة الأبرص.

(فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ) ماذا يريد؟ قال: (بَعِيرًا أَنْتَبَلُ بِهِ فِي سَفَرِي) ماذا رد؟ أنكر؛ أنكر فضل الله عليه (فَقَالَ: الْحَقُّوكُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَفْقَدُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا وَرَنْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ) قالها قارون عندما أسند المال إلى علم عنده {إنما أوتيت على

علم عندي} سبحان الله! ونسي فضل الله عليه (فَقَالَ: إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ) إذا كنت كاذبا.

قال: (وَأَتَى الْأَفْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ).

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ) وهنا من باب التشريك في اللفظ، لا يجوز أن تقول بالله وبك، هذا يسمى الشرك اللفظي، الواو العاطفة التي تفيد المشاركة، بل تقول: أعتد على الله، ثم عليك، توكلت على الله، ثم عليك، وهكذا، فتجعل ثم، جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: "ما شاء الله وشئت".

فقال: "أجعلتني لله ندا، بل قل ما شاء الله وحده" فليس لي مشيئة مع الله لا بالمشاركة ولا ثم التي تفيد في النحو ماذا؟ الترتيب مع التراخي، والفاء تفيد الترتيب مع التعقيب؛ لذلك في الصلاة علينا أن نتابع الإمام بعده ومباشرة لماذا؟ لأن النبي ﷺ جاء بلفظة فاء التعقيب قال: "إذا كبر فكبروا"، "إذا ركع فاركعوا"، "إذا سجد فاسجدوا" الفاء هذه تفيد الترتيب: مباشرة بعده والتعقيب مباشرة وليس ثم، فلا يجوز أن تتأخر عن الإمام فترة، بعد إذا سجدت تطيل القيام، بعد ذلك تسجد، لا، لا يجوز لا بد أن تتابعه فورا، ولا يجوز أن تشاركه: تسجد معه، وتركع معه، لا تسبقه، ولا تكن معه، ولا تطيل كثيرا بعده.

قال: (أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاءَ أَتَبْلُغَ بِهَا فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي) أنظر هذا يذكر نعمة الله عليه، يحدث بنعمة الله.

قال: (فَخَذُ مَا شِئْتُ وَدَخُ مَا شِئْتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ - عز وجل. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ. فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ) قد استجاب الله فيما قال لصاحبيه، عندما قال: (إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ) من باب الدعاء (فصيرك الله إلى ما كنت) فعادا إلى ما كانا عليه على الحالة الأولى، وأما هذا فبورك له في ماله.

قال: (أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ) فكان ابتلاء من الله -سبحانه وتعالى-، ليعلم الله من يشكر ومن يكفر، وليس العلم بعد جهل معاذ الله، هو علم سابق، ولكن حتى يجزي إما ثوابا وإما عقابا.

قال المؤلف -رحمه الله-: (متفق عليه⁴).

⁴ البخاري: 3464، ومسلم: 2964.

قال: (رضي الله عنك، وسخط على صاحبك) فيها إثبات صفة الرضا لله، وإثبات صفة السخط لله، هذه الصفات صفات فعلية حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين، تليق به -سبحانه وتعالى- من غير تكليف ولا تحريف، ولا تعطيل ولا تمثيل {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

قال المؤلف: (و«النَّاقَةُ الْعُشْرَاءُ» بضم العين وفتح الشين وبالمد: هي الحامل. قوله: «أَنْتَجَ» وفي رواية: «فَنْتَجَ» معناه: تولَّى نتاجها، والنتاج لِلنَّاقَةِ كَالْقَابِلَةِ لِلْمَرَأَةِ. وقوله: «وَلَدَ هَذَا» هُوَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ: أي تولَّى ولادتها، وَهُوَ بِمَعْنَى أَنْتَجَ فِي النَّاقَةِ، فَالْمَوْلَدُ، والنتاج، والقابلة بمعنى) أي: بمعنى واحد (لكن هَذَا لِلْحَيَوَانِ وَذَاكَ لِغَيْرِهِ. وقوله: «انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ» هُوَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ: أي الأسباب) فيما أذكر في الدرس الماضي، لما ذكرت الباء قلت: الباء الموحدة التحتية لا داعي لأن يقال الباء الموحدة التحتية، عندما تقول تاء مثناة، ثاء مثلثة، باء موحدة، لكن تقول: الباء التحتية، إذا قلت: الباء التحتية = فيعرف أنك تقصد الباء، لا يوجد نقطتين إلا تحت، يفرقون بين الباء الموحدة: نقطة واحدة، وبين الباء يقولون: هذه باء موحدة، وتلك ياء تحتية كأنني في المرة الماضية أخطأت في لفظة نسيت، على كل حال: هذا من باب التصحيح قال: (وقوله: «انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ» هُوَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ: أي الأسباب. وقوله: «لَا أَجْهَدُكَ» معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي. وفي رواية البخاري: «لَا أَحْمَدُكَ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ وَمَعْنَاهُ: لَا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كَمَا قَالُوا: لَيْسَ عَلَى طَوْلِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ: أي عَلَى فَوَاتِ طَوْلِهَا) حقيقة حديث عظيم، فيه فوائد كثيرة ذكره المؤلف في باب المراقبة، أن تراقب نفسك، وتراقب الله في نفسك، وتعلم أن كل شيء من عند الله فتضعه فيما يحبه الله ويرضاه، واعلم أنك مبتلى في هذه الدنيا، والخير الذي يأتيك ابتلاء من الله -سبحانه وتعالى- ليعلم أنك تشكر أم تكفر، وقال تعالى: {ولئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} أنظر إلى التأكيد خطير {ولئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} نسأل الله السلامة.

الحديث السادس والستون:

السابع: عن أبي يعلى شداد بن أوس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قَالَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ». رواه الترمذي⁵، وَقَالَ: «حديث حسن».

قَالَ الترمذي وغيره من العلماء: معنى «دَانَ نَفْسَهُ»: حاسبها.

أي: راقبها ليلا ونهارا، ماذا فعلت؟ ماذا قلت أيها اللسان؟ أمسك نفسك، يحافظ ينظر يراقب يحاسب نظره، يحاسب لسانه، يحاسب فرجه، يحاسب سمعه، يحاسب يده ورجله، يحاسب كل شيء، يحاسب قلبه، هذا هو الكيس الذي يُدين نفسه، يضع على نفسه اللوم في الأخطاء، حتى لا يقع فيها مرة أخرى، فيتوب ويستغفر، ويسترجع، أواب، وكل عمله هو زاد لما بعد الموت {خير الزاد التقوى} قال تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} فالكيس هذا طبعا قال الشيخ العثيمين معناها: "الرجل حازم الذي يغتنم الفرص ويتخذ لنفسه الحيلة" مش الحيلة الحيلة ولكن حيلة كلمة الحيلة، والحائط منها، ويقال في الحديقة: الحائط، أو في المزرعة الصغيرة: الحائط "حتى لا تفوت عليه الأيام والليالي فيضيع" حقيقة هذا المعنى طيب، الكيس، تجد الشخص يسوف في امتحان دراسي، أو في شيء يسوف، وغدا أدرس، غدا أعمل، غدا أقوم بواجبي، ثم ما يلبث أن تمر الأيام ويفوت الوقت، كما حلّ مع من؟ مع الثلاثة في قصة غزوة تبوك، صاروا يسوفون ويسوفون حتى انطلق النبي ﷺ وأصحابه، فالكيس يكون حازما؛ حازما على نفسه، يُدين نفسه ويراقبها، ويحاسبها إذا قصرت، ويعمل لما بعد الموت.

قال: (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ) الدنيا والله زائلة والله، ثم والله أن الدنيا زائلة، وقليل أيامها، أيام وتمضي، لحظات وتزول.

(وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا) هذا العاجز؛ لذلك الله -سبحانه وتعالى- يحب المؤمن القوي "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير" طالما أنه يصدق فيه اسم الإيمان، لكن من هو المؤمن القوي؟ "إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن" لاحظ: حريص على ما ينفعه، يستعين بالله في قضاء جميع حوائجه، ولا يعجزن، لا يكون عاجزا متكاسلا، قد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل والعجز: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والغم، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين، وقهر الرجال".

⁵ 2459، وابن ماجه: 4260.

قال النبي ﷺ: "فإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" بعد أن تحرص على ما ينفعك، مستعيناً بالله - سبحانه وتعالى - لست عاجزاً، بعد ذلك إن لم يرض لك مقصودك، تكون ثابتاً، وتعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، هذا هو المؤمن القوي حقيقة.

(الْكَيْسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا) يتبع هواه، ويسوف ويؤجل، وغدا سأفعل، غدا سأتوب، غدا سأصلي.

(وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) يفكر ساعات وساعات أنه سيحفظ كتاب الله، أنه سيعمل له برنامجاً في حفظ الأحاديث، أنه سيأتي ببرنامج لحفظ المتون، لمتابعة دروس المشايخ والعلماء، وغير ذلك، والأيام تمضي وتمضي وتمضي، وهو يتمنى، يتمنى ويتمنى.

قال: (رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن»).

قَالَ الترمذي وغيره من العلماء: معنى «دَانَ نَفْسَهُ»: حاسبها

الحديث الذي بعده، السابع والستون، قال:

الثامن: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حديث حسن رواه الترمذي وغيره.

الإسلام كله حسن، وهو مراتب ودرجات، قد يصل الإنسان إلى أعلاها إيماناً، حيث يدخل الإيمان في معنى الإسلام، إن استقام ظاهراً وباطناً، وكلنا أصحاب ذنوب، والإيمان يزيد وينقص، فـ (من حسن إسلام المرء) يكون إسلامه حقيقة حسناً ماذا؟ (تركه ما لا يعنيه) لا يتدخل فيما لا يعنيه، فيتدخل في حكايا الناس، لا يكون فضولياً في شيء لا يريد، لا يراقب الناس فيما لا ينفعه، ومن راقب الناس حقيقة ماذا؟ مات هما، يراقبهم: هذا فعل، هذا قال، هذا جاء، هذا ذهب، وهذا لبس، وهذا أكل، وهذه جاءت، إلى آخره، اشتغل بنفسك، طبعاً لا يعني ذلك أنك لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، لا، نحن نناقش في شخص لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر، إنما يراقب في الناس، إنما فقط يراقب في الناس، جعل نفسه مراقباً لهم، راقب نفسك، حاسب نفسك، لماذا؟ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

68- التاسع: عن عُمَرَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ» رواه أبو داود وغيره⁶.

لا يُسْأَلُ، هذا شيء بينه وبين زوجته، لا تتدخل أنت، هذا الظاهر أنه ساق المؤلف - رحمه الله- هذا الحديث، وهو حديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع برقم: 6218 والله أعلم، نعم كما هو مكتوب عندي في الحاشية، فالظاهر أن المؤلف ساق هذا لأنه من الفضول أن تسأل رجلاً لماذا تضرب زوجتك؟ ليس من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن من باب التدخل في شؤون الغير، لكن لو جاء ليصلح بين الزوجين، وله حظوة عند هذا وعند هذه، قريب له، أو قريب لها، ويجب أن يصلح جزاءه الله خيراً، ولكن ليس من باب الفضول. لماذا؟ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

نتوقف عند هذا القدر، وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام ورحمة الله وبركاته.

⁶ 2147، وابن ماجه: 1986.